Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (3) Issue (2) June(2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

علم الكلام الحديث واسباب نشوئه

أ.م.د فلاح نجم عبدالله

كلية الامام الاعظم الجامعة /العراق

emergence Modern theology and the reasons for its

Assoc. Prof. Falah Najm Abdullah
Imam Al-Azam University College / Iraq

2024 AD / 1444 AH

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمد عباده الشاكرين الذاكرين حمداً يوافي نعمه علينا ويُكافئ مزيده وأُصلي وأُسلم على الرحمة المهداة ، والنعمة المُسداة ، حبيب الحق ورسول الخلق ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والذين اهتدوا بهديه ، واستنوا بسنته وساروا على نهجه إلى يوم الدين . أن الخلافات في بعض المسائل العقدية بين المذاهب والتيارات الفكرية الإسلامية ولاسيما ما يتعلق بذات الله وصفاته قد أخذت مساحة كبيرة من علم الكلام وصار النزاع بين اصحاب هذه الفرق الكلامية في حقبة من حقب تاريخ هذا العلم هي السائدة على معناه، حتى أصبحت السمة الغالبة على علم الكلام عند إطلاقه لدى عامة الناس هي هذه الإنقسامات والاختلافات بين الفرق والمذاهب الإسلامية، فقصروا معناه العظيم الشامل على موضوع من موضوعاته، او جانب من جوانبه، او مظهر من مظاهره، ناسين الوظيفة الأساسية له في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ورد شبهات المخالفين بإقامة الأدلة العقلية التي تدحض افتراءاتهم وأكاذيبهم الواهية، فضعف في الناس أثره، وتقلص في الحياة خيره، وشاب كثيراً من مفاهيمه الشوائب مما جعل المهمة صعبة على الدعاة المصلحين والعلماء المجددين، ليصححوا للناس مفاهيمهم، ويعودوا بهم الى دين الفطرة، ويعيدوا بناء العقول المنحرفة والضالة، فكانت تعترضهم في حركتهم الدعوية العقبات الداخلية بين المسلمين أنفسهم خاصتهم وعامتهم، قبل ان تعترضهم المشكلات الخارجية من أعداء الأمة المتربصين بها، مما بطأ حركة الإصلاح، وأخرّ عملية النهوض.وعلى اثر تلك الاحداث كلها ظهرت الفرق والمذاهب كل يبتدع عقائد واقوالا لم يقلها الاوائل حيث اعتمدوا على آرائهم وجعلوا الشريعة ونصوصها تحت البحث والنظر كغيرها من الكلام العادي لهئا سمي اهل البدع اهل الاهواء لانهم اتبعوا اهوائهم وهكذا انقضت القرون المنضلة ومضت الاحداث والسنون وبدا الكلام وتنظيره والاعراف به على ايدي اوائل المعتزلة لانهم اول من خاض في تلك المسائل زمن عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء وعرفوا عند اهل السلف بأهل الكلام وكانت حجتهم الدفاع عن الاسلام الا انهم لم يستخدموا ادلة الشرع بل ادلة وطرقا ظنوها عقلية فأسأؤوا اكثر مما احسنوا واصبحوا كمن اراد ان يغزو العدو بغير طريق شرعي فلا فتح بلادهم ولا حفظ بلاده بل سلطهم حتى صاروا يحاربونه بعد ان كانو عاجزين عنه. وإنطلاقاً من حرصنا على الحفاظ على أصالة علم الكلام وتسخيره بأكبر قدر ممكن لخدمة ديننا الحنيف من جهة، وبذل الجهود لتوحيد صفوف المسلمين وعدم الإنسياق وراء الخلافات الفرعية في بعض المسائل العقدية المؤدية الى ضعفهم وتنافرهم، والعمل صفاً واحداً كالبنيان المرصوص لإعلاء كلمة لا إله إلا الله من جهة أخرى، التي تظهر مدى حاجة كل الدعاة الى الله الى علم الكلام بمختلف مباحثه لإثبات العقيدة الدينية بالأدلة العقلية المقنعة للمدعوين بما يتفق مع النصوص النقلية المنزلة، وذلك بإتخاذ الأصول الدينية المتفق عليها عند جميع أهل المذاهب الإسلامية والمتمثلة بالتوحيد والنبوة واليوم الآخر أساساً لدعوتهم.

Introduction

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, praise His thankful servants, who remember Praise be to Allah who will grant His blessings to us and reward His more, and I pray and greet Him for the mercy bestowed upon us, and

the grace bestowed, the beloved of truth and the Messenger of Creation, our master Muhammad (peace and blessings of Allaah be upon him) and his family and companions and those who were guided by His guidance, and enlightened His Sunnah and followed His path until the Day of Judgment. The differences in some doctrinal issues between Islamic doctrines and intellectual currents, especially with regard to the same God and His attributes, have taken a large area of theology and the conflict between the owners of these speech groups in an era of the history of this science has become prevalent in its meaning, until the dominant feature of theology when launched by the general public is these divisions and differences between Islamic sects and sects, so they limited its great comprehensive meaning to one of its topics, or one of its aspects, or A manifestation of its manifestations, forgetting its main function in defending the Islamic faith and countering the suspicions of violators by establishing mental evidence that refutes their slanders and flimsy lies, so it weakened in people its impact, and shrunk in life its good, and marred many of its impurities concepts, which made the task difficult for reformist preachers and renewed scholars

المبحث الاول:اهمية علم الكلام والغرض منه

المطلب الاول :تعريف علم الكلام

تعددت آراء المتكلمين والباحثين وتباينت عباراتهم في تعريف علم الكلام وذلك لاختلاف آرائهم وتباين وجهات نظرهم تجاه هذا العلم، ومن أبرز تلك التعريفات وأشهرها ما يلي:

اولا: تعرف الفلاسفة:اقدم من عرف علم الكلام من الفلاسفة (أبو نصر الفارابي ت٣٣٩) حيث قال(وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل، وهذه الصناعة تنقسم الى جزأين أيضا : جزء في الآراء وجزء في الأفعال، وهي غير الفقه، لان الفقيه يأخذ الآراء والافعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولاً، من غير أن يستنبط عنها أشياء أخرى ، فإذا اتفق أن يكون لإنسان ما قدرة على الأمرين جميعاً فهو فقيه متكلم فتكون نصرته لها بما هو متكلم، واستنباطه منها بما هو فقيه)) [١]

ثانيا: تعرف المتكلمين:وقد اختلف المتكلمون في تعريفهم لهذا العلم، ويمكن القول بأنهم انتظموا في ثلاث طوائف:

١- طائفة عرفته باعتبار الغاية التي من أجلها نشأ علم الكلام وهي الدفاع عن العقائد الدينية والرد على أهل البدع وكشف تلبيساتهم. يقول ابن خلدون (٨٠٨ هـ) : ((علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعه المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة)ويقول أيضاً: ((والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلام أهل الإلحاد في معارضت العقائد السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا إلى الرد عليهم من جنس معارضتهم) [١]وابن خلدون في قوله هذا يوافق ما ذهب إليه الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في المنقذ من الضلال حيث قال: ((... وإنما مقصوده (علم الكلام) حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أموراً مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله تعالى طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة، فمنه نشأ علم الكلام وأهله) [٢]وهذه الطائفة جعلته علماً خاصاً بأهل السنة فقط؟

٢- طائفة جعلته عاماً بحيث يشمل كلام جميع الفرق المنسبة إلى الإسلام سواء كان كلاماً حقاً أم باطلاً.قال البيضاوي: (ت ٦٨٥هـ) ((علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنه) [٣]. ويؤكد قوله عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) في كتاب المواقف حيث قال: (والكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبة، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام) [٤].وقال التفتازاني (ت ٧٩١هـ) شارحاً لتعريف الإيجي: ((وهذا هو معنى العقائد الدينية، أي المنسوبة إلى محمد صلى الله عليه وسلم سواء توقف على الشرح لم لا ، وسواء أكان من الدين في الواقع ككلام أهل الحق لا ككلام المخالفين)) [٥].وقال التهانوني : (ت بعد ١١٥٨هـ)<< والمراد بالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم سواء كانت صواباً أو خطأً فلا يخرج علم أهل البدع الذي يقتدر معه على إثبات عقائدهم الباطلة من علم الكلام>>

[٦].وقال الجاحظ: (ت ٢٥٦هـ) << والمتكلم اسم يشتمل على مابين الأزرقي والغالي وعلى من دونهما من الخارجي والرافضي، بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة، بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة>>[٧].

٣- طائفة عرفته بأبرز مباحثه وموضوعاته التي يتناولها.قال الشريف الجرجاني: (ت٨١٦هـ) << الكلام علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات في المبدأ أو المعاد على قانون الإسلام... الكلام علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة والنار والصراط والميزان، والثواب والعقاب [٨]. وينهج نهجه الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) فيقول في رسالة التوحيد:<< علم يبحث عن وجود الله تعالى وما يجب أن يثبت له من صفاته وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينفي عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم وما يمتنع أن يلحق بهم>>[٩].

واذا تأملنا التعريفات السابقة لاحظنا ما يلي:

أولاً: تعريف الفارابي:

أ- أن الفارابي يساوي بين علم الكلام وعلم الفقه من حيث الموضوع ويفرق بينهما باعتبار الغاية، فكلاهما يبحث في الآراء والأفعال المحدودة- أي الأحكام الاعتقادية والأحكام العملية- التي صرح بها واضع الملة، فإن كانت الغاية استنباط أحكام جديدة من الأحكام الأصلية سمي فقهاً. وإن كانت الغاية تأييد الأحكام الأصلية ونصرتها ببراهين جديدة أو رد شبهات الخصوم عنها سمي كلاماً. وهذا التفريق بين علم الكلام وعلم الفقه لم يعرف عن احد من العلماء في الأسلام بل أنهم يكادون يجمعون على أن علم الكلام متعلق بالمسائل الاعتقادية وأن علم الفقة متعلق بالأحكام العملية[١٠].

ب- نجد أن الفارابي لم يقصد في تعريفه هذا علم الكلام في الإسلام والتفريق بينه وبين الفقه على مصطلح علماء المسلمين، وإنما قصد الكلام في العلوم الدينية جملة والتي تنشأ في ظل أي دين أو نظام عقائدي وهو المراد بلفظ << الملة>>هنا [١١].

ثانيا: تعريف ابن خلدون والغزالي:ويلاحظ أنهما حصراً علم الكلام في نصرة الاعتقادات الصحيحة الموافقة لمذهب السلف وأخرجا باقي الفرق المخالفة لمذهب السلف من علم الكلام. وهذا مخالف للواقع، حيث أن علم الكلام في الإسلام نشأ وترعرع على يد أهل الاعتزال والتشيع. كما أن الكلام جمع فرقاً ومذاهب كثيرة لم تقصد حراسة عقيدة أهل السنة من تشكيكات أهل البدعة [١٢] . وقد أشار ابن خلدون في تعريفه إلى أهم النقاط المثيرة للخلاف بين علماء الكلام وعلماء الحديث والسنة[١٣].

ثالثا: تعريف البيضاوي والايجي والتفتازاني والتهانوني:وهذا التعريف يدخل ضمن عقائد جميع الفرق المنتسبة للإسلام في علم الكلام، فكل من يثبت عقيدة دينية منسوبة للإسلام أو يدافع عن عقيدة باطلة بالأدلة العقلية فإنه يدخل في علم الكلام[١٤].

رابعا: الشريف الجرجاني والشيخ محمد عبده:فإنهما قد عرفنا هذا العلم بأبرز مباحثه وأهم موضوعاته، إلا أنهما لم يدخلا الدفاع عن العقيدة والرد على الخصوم في إطار علم الكلام. كما أن الشيخ محمد عبده أغفل مبحثاً هاماً وهو مبحث السمعيات. وهي الأمور الغيبية.ونستطيع أن نقول: أن علم الكلام هو: علم يقصد منه إثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية لأجل البرهنة عليها إثباتا لصحتها ودفع الشبه عنها. ويتضمن الرد والدفاع عن مسائل العقيدة بتلك الأدلة [١٥] ، ولكنه اختلط – فيما بعد – علم الكلام بالفلسفة << فالتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنيين عن الآخر، ولا يحصل عليه طالبه>>.والله اعلم.

المطلب الثاني :اهمية علم الكلام الحديث والغرض منه

إنَّ من الأهميةِ بمكانٍ تحديدُ نطاقِ البحثِ ، ومعرفةُ حدودِه ؛ حتى يتمَّ الوصولُ بدقةٍ إلى تحقيقِ الأهدافِ المنشودةِ منه ، وحتى تكونَ الدراسةُ واضحةَ المعالمِ ؛ ولذا فقد كان من الضروريِّ تعريف علمِ الكلامِ تعريفاً دقيقاً – باعتبارِ أنَّه الأساسُ الذي تُبنى عليه هذه الدراسةُ – جامعاً بين التنظيرِ والواقعِ ، وبين ما كُتِبَ وبين تطبيقاته على المسائلِ ، مجلياً ما كُتِبَ من بابِ الدعايةِ والتقليدِ مما يردُّه الواقعُ والتطبيقُ العملي .وقبلَ ذكرِ التعريفِ لابدَّ من مقدمةٍ لهذا التعريفِ ؛ وهي عبارةٌ عن مناقشةٍ لبعضِ الأسئلةِ التي هي بمثابةِ المقدمةِ والمفتاحِ لهذا التعريفِ ، يتجلَّى من خلالها معرفةُ كثيرٍ من الحقائقِ التي قد تغيبُ عن فَهْمِ كثيرٍ من الناسِ بل من المتكلمين أنفسِهم ؛ وهي :

١/ ما تعريفُ علمِ الكلام ؟ وهل هو لتقريرِ العقائدِ ، أو للدِّفاعِ عنها ، أو لهما معاً ؟ وجزءا هذا السؤالِ مترابطان عندَ المتكلمين لا يمكنُ الفصلُ بينهما حينَ التعريفِ به كما بينته في بداية البحث عندما عرفة عدد من المتكلمين والباحثين !

٢/ هل الحدُّ الذي ذكره المتكلمون أنفسُهم . مطابقٌ للمحدودِ في الواقعِ والتطبيقِ ، أو أنَّ هناك تباينٌ واختلافٌ بين التعريفِ وتطبيقاته ؟

٣/ إذا كانَ الأمرُ على أنَّ الحدَّ غيرُ مطابقٍ للمحدودِ في التطبيقِ والواقعِ ، فما هو الحدُّ الصحيحُ الذي يمثلُ واقعَ المتكلمين في استعمالهم لهذا الفنِّ ؟وللإجابةِ على التساؤلِ الأولِ لابدَّ أنْ ننقلَ أقوالَ المتكلمين أنفسِهم، في تعريفِ علمِ الكلامِ ، ومن ثمَّ نجيبُ على التساؤلاتِ المتقدمةِ من خلالها يقول الغزاليُّ[١٦] القولُ في بيانِ مقصودِ علمِ الكلامِ وحاصله : ثم إنِّي ابتدأتُ بعلمِ الكلامِ فحصَّلْته وعقِلْته ، وطالعتُ كُتُبَ المحققين منهم ، وصنَّفتُ فيه ما أردتُ أنْ أصنفَ ، فصادفته علماً وافياً بمقصوده غيرَ وافٍ بمقصودي ؛ وإنَّما مقصوده حفظُ عقيدةِ أهلِ السُنَّةِ وحراستها عن تشويشِ أهلِ البدعةِفقد ألقى اللهُ إلى عباده على لسانِ رسوله عقيدةً هي الحقُّ على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطقَ بمعرفته القرآنُ والأخبارُ ، ثمَّ ألقى الشيطانُ في وساوسِ المبتدعةِ أموراً مخالفةً للسنةِ ، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدةَ الحقّ على أهلها ، فأنشأَ اللهُ طائفةَ المتكلمين ، وحرَّكَ دواعيهم لنصرةِ السنةِ ؛ بكلامٍ مرتَّبٍ يكشفُ عن تلبيساتِ أهلِ البدعةِ المحدثةِ على خلافِ السُنَّةِ المأثورةِ ؛ فمنه نشأَ علمُ الكلامِ وأهله فلقد قامَ طائفةٌ منهم بما ندبهم اللهُ إليه ، فأحسنوا الذَّبَّ عن السنةِ ، والنِّضالِ عن العقيدةِ المتلقاةِ بالقبولِ من النُّبوةِ ، والتغييرِ في وجه ما أُحْدِث من البدعةِ . ولكنَّهم اعتمدوا في ذلك على مقدماتٍ تسلموها من خصومهم ، واضطرَّهم إلى تسليمها إما التقليدُ أو إجماعُ الأمةِ ، أو مجردُ القبولِ من القرآنِ والأخبارِ . وكان أكثرُ خوضهم في استخراجِ مناقضاتِ الخصومِ ومؤاخذتهم بلوازمِ مُسلَّماتهم ؛ وهذا قليلُ النفعِ في جنبِ من لا يُسَلِّمُ سوى الضروریاتِ شيئاً أصلاً .فلم يكنِ الكلامُ في حقِّي كافياً ، ولا لدائي الذي كنتُ أشكوه شافياًنعم ، لما نشأتْ صنعةُ الكلامِ ، وكثرُ الخوضُ فيه ، وطالتِ المدةُ ، تشوَّقَ المتكلمون إلى مجاوزةِ الذَّب عن السنةِ بالبحثِ عن حقائقِ الأمورِ ، وخاضوا في البحثِ عن الجواهرِ والأعراضِ وأحكامِها . لكن لما لم يكنْ ذلكَ مقصودَ عِلْمِهم لم يبلغْ كلامهم فيه الغايةَ القصوى ، فلم يحصلْ منه ما يمحو بالكليةِ ظلماتِ الحيرةِ في اختلافِ الخلقِ . ولا أبعد أنْ يكونَ قد حصلَ ذلك لغيري ، بل لستُ أشكُّ في حصولِ ذلك لطائفةٍ ، ولكن حصولاً مشوباً بالتقليدِ في بعضِ الأمورِ التي ليستْ من الأوليات ...

والذي يهمُّنا من هذا النَّصّ ما يلي :

قوله وإنَّما مقصوده حفظَ عقيدةِ أهلِ السنةِ وحراستها عن تشويشِ أهلِ البدعةِ فهذا نصٌ منه على أنَّ الأساسَ في مقصودِ هذا الفنِّ هو الدفاعُ والردُّ لا تقريرَ العقائدِقوله فأنشأَ اللهُ طائفةَ المتكلمين ، وحرَّكَ دواعيهم لنصرةِ السنةِ بكلامٍ مرتبٍ يكشفُ عن تلبيساتِ أهلِ البدعةِ المحدثةِ .. فهذا يدلُّ على أنَّه يرى أنَّ هذا العلمَ متأخرٌ لم يعرفه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاءُ الراشدون، ولم يستعملوه في تقريرِ العقائدِ ولا الدِّفاعِ عنها، مع وجودِ العقائدِ المنحرفةِ [١٧]في الأممِ التي حولهم ومحاربتهم لها ، مع ما هو مستقرٌّ في قلوبِ المسلمين ، من أنَّه لا خيرَ إلا والنبيُّ صلى الله عليه وسلم قد دلَّ المسلمين إليه ، ولا شرَ إلا وحذَّرهم منه . مع أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قد حذَّرَ من أشياء هي موجودةٌ عندَ المتكلمين : كالجدالِ ، والخصوماتِ في الدينِ[١٨]، والكلامِ في القدرِ [١٩] . بل إنَّ كثيراً مما قرَّرَه المتكلمون في العقائدِ هو مشابهٌ لما عليه الأممُ الضالةُ السابقةُ قوله ولكنَّهم اعتمدوا في ذلك على مقدماتٍ تسلموها من خصومهم .. وخصومهم – كما يقرِّرُه الغزالي – هم أهلُ البدعةُ !! .فهذا الفنُّ مأخوذٌ من المبتدعةِ ، ثمَّ يكون الغرضُ منه الحفاظُ على السُنَّةِ !. تأملْ في هذه المفارقةِ العجيبةِ ، ثم ضمَّها إلى ما قبلها ، مع ما سيأتي قريباً من قوله لم يبلغْ كلامَهم فيه الغايةُ القصوى .. ؛ ليتبينَ مقدارَ هذا العلمِ !ويقول : تشوَّقَ المتكلمون إلى مجاوزةِ الذَّبِّ عن السنةِ بالبحثِ عن حقائقِ الأمورِ، وخاضوا في البحثِ عن الجواهرِ والأعراضِ وأحكامِها » فهذا يدلُّ على أنَّ الأصلَ في هذا العلمِ هو الردُّ والدفاعُ عن العقائدِ ، لا التقريرِ للعقائدِ . فالتقريرُ هو شيءٌ فرعيٌّ أو ثانويٌّ ليس هو مقصودَ هذا العلمِ ؛ لذلك قال : لم يبلغْ كلامهم فيه الغايةَ القصوى ، فلم يحصلْ منه ما يمحو بالكليةِ ظلماتِ الحيرةِ في اختلافِ الخلقِ ...فعلم الكلام ضعيفٌ في جانبِ التقريرِ لا يرفعُ ظلماتِ الحيرةِ عن النفسِ .

فنخلص من كلامه بنتائج ؛ أهمها :

أ – أنَّ الأصلَ في علمِ الكلامِ الردُّ والدفاعُ لا التقريرُ .

ب– أنَّ هذا العلمَ متأخرٌ لم يعرفه النبيُّ صلى الله علية وسلم ولا أصحابه .

ج– أنَّ هذا العلمَ معتمدٌ على مقدماتٍ مأخوذةٍ من المبتدعةِ .

د– أنَّ جانبَ التقريرِ في هذا العلمِ ضعيفٌ ، ولا يرفعُ ظلماتِ الحيرةِ عن النفوس ويقول الإيجيُّ [٢٠] في تعريفِ علمِ الكلامِ : علمٌ يقتدرُ معه على إثباتِ العقائدِ الدينيةِ ؛ بإيرادِ الحججِ ودفعِ الشبهِ. فقوله إيرادُ الحججِ هو للتقريرِ ، وقوله دفعَ الشبهِ للردِّوذكر القنّوجي[٢١]كلامَ الإيجي بنصه وزادَ عليه وموضوعه عندَ الأقدمين : ذاتُ اللهِ وصفاتُه ؛ لأنَّ المقصودَ الأصليَ من علمِ الكلام : معرفتُه تعالى وصفاته [٢٢]. وهذا الكلامُ فيه مناقضةٌ لقولِ الغزالي المتقدمِ ، فهو بكلامه الأخيرِ يجعلُ الأصلَ من هذا العلمِ هو التقريرُ ، ولكن لن نقفَ كثيراً عندَ هذا الأمرِ ؛ لأنَّ القنّوجي نفسَه قال ما يخالفُ هذا التقريرَ بقوله – بعدَ قوله الأوَّل – ثمَّ إنَّ علماءَ الكلامِ شرطوا فيه أنْ تؤخذَ العقيدةُ أوّلاً من الكتابِ والسنةِ ، ثمَّ

تثبتُ بالبراهين العقليةِ [٢٣]. فهو يجعلُ – هنا – التقريرَ من الكتابِ والسنَّةِ وأمَّا التفتازاني [٢٤]فيقول : إنَّه العلمُ بالقواعدِ الشرعيةِ الاعتقاديةِ ، المُكْتَسَبُ من أدلتها اليقينيةُ [٢٥]. فهو على هذا التعريف يكونُ للتقريرِ فقط ، وبمثله عرَّف المناوي [٢٦] إذ يقولُ : والكلامُ : علمٌ يُبْحَثُ فيه عن ذاتِ اللهِ وصفاته وأحوالِ الممكناتِ من المبدأِ والمعادِ على قانونِ الإسلامِ [٢٧] ، وهذا ما سارَ عليه الشيخُ محمدُ عبده [٢٨]؛ إذ يقول : التوحيدُ : علمٌ يبُحثُ فيه عن وجودِ اللهِ ، وما يجبُ أنْ يُثْبَتَ له من صفاتٍ ، وما يجوزُ أنْ يُوصَفَ به ، وما يجبُ أنْ يُنْفَى عنه وعن الرسلِ ؛ لإثباتِ رسالتهم ، وما يجبُ أنْ يكونوا عليه ، وما يجوزُ أنْ يُنْسَبَ إليهم ، وما يمتنعُ أنْ يلْحقَ بهم [٢٩]. ونختمُ بما عرَّفَ به ابن خلدون [٣٠] في مقدمته ؛ إذ يقولُ علمُ الكلامِ : هو علمٌ يتضمنُ الحِجَاجَ عن العقائدِ الإيمانيةِ بالأدلةِ العقليةِ ، والرَّدّ على المبتدعةِ المنحرفين في الاعتقاداتِ عن مذاهبِ السلفِ وأهلِ السُنَّةِ [٣١] [٣٢] ؛ فهو يوافقُ الإيجيَّ في شطرِ تعريفه ، ويخالفُ التفتازانيَّ ومن معه ؛ إذْ يرى أنَّه للدِّفاعِ عن عقيدةِ السلفِ أهلِ السنةِ وبعدَ هذه التطواف في أقوالِ المتكلمين والمنتسبين إليهم ، نلحظُ ما يلي :

– أنَّ منهم من جعلَ هذا العلمَ للتقريرِ ؛ كما هو الحالُ في تعريفِ التفتازاني ،والمناوي ، ومحمد عبده .

– ومنهم من جعله للرَّدِ فقط ؛ كما نقلنا ذلك عن ابن خلدون .

– ومنهم من جعله للأمرين معاً ، ولكن هناك من فرَّق فجعلَ الأصلَ فيه أنَّه للردّ كما ذكر الغزالي.

– ومنهم من لم يفرِّق كالإيجي.وهذا الاختلافُ فيما بين المتكلمين يدفعنا إلى الإجابةِ عن السؤالِ الثَّاني وهو: هل واقعُ المتكلمين في كتاباتهم مطابقٌ لما يذكرونه من التعريفاتِ ؟ وبمعنى آخر هل الحدُّ مطابقٌ للمحدودِ تماماً ؟ أو أنَّ هناك تجاوزاتٌ : فالحدُّ لا ينطبقُ على المحدودِ ؟!

إنَّ المتأملَ في كتبِ المتكلمين يجدُ أنَّ واقعهم يشْهدُ أنَّهم يستعملون هذا الفنَّ للأمرين معاً ؛ فهم يستخدمونه لتقريرِ العقائدِ ،كما يستخدمونه للردّ على المخالفِ ، وهذا الأمرُ واضحٌ وجليٌّ لكلِ من تصفَّحَ كتبَهم **ولكنَّ الأمر الأهم** في هذه القضيةِ هو الجوابُ على هذا التساؤلِ : هل علمُ الكلامِ بالفعلِ هو لحراسةِ العقيدةِ وتقريرها أو أنَّه لا يصلحُ لتقريرِ العقائدِ ، ولا يستطيعُ حراسةَ العقيدةِ والدفاعِ عنها ، بل هو وبالٌ على العقيدةِ الإسلاميةِ ، وأنَّ ما تجده في كتبِ المتكلمين هو من بابِ الدِّعايةِ والتعصبِ والتقليدِ لما ألفوه ؟إنَّ الجوابَ يكمنُ في دراسةِ شِقَّي التعريفِ على حسبِ المعطياتِ التي عندَ المتكلمين ليكونَ الحكمُ بالعدلِ والإنصافِ **فأمَّا الشقُ الأولُ** – وهو كونُ هذا العلمِ لتقريرِ العقائدِ الدينيةِ – فيظهرُ جلياً أنَّ كبارَ المتكلمين ورموزه المعظَّمةَ – ومن عداهم تَبَعٌ لهم – يؤكِّدون أنَّ هذا العلمَ غيرُ صالحٍ لتقريرِ العقائدِ ، بل يجرُّ على أهله ويلاتَ الحيرةِ والشكوكِ ، فقد مرَّ معنا قولُ الغزالي المتقدمُ ، وفيه : فلم يحصلْ منه ما يمحو بالكليةِ ظلماتِ الحيرةِ في اختلافِ الخلقِ ، ولا أبعدَ أنْ يكونَ قد حصلَ ذلك لغيري ، بل لستُ أشكُّ في حصولِ ذلك لطائفةٍ ، وهذا إمامُ الحرمين[٣٣]الذي أصبحتْ كتبه مرجعاً في علمِ الكلامِ يقول : أكثرُ الناسِ شكاً عندَ الموتِ أصحابُ الكلامِ والشهرستاني[٣٤] يؤكِّدُ ما سلفَ من أنَّه غيرُ صالحٍ لتقريرِ العقيدةِ بل مفاده الحيرةُ والندمُ ؛ إذ يقولُ

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إلاَّ وَاضِعاً كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعاً سِنَّ نَادِمِ [٣٥]

ويقول الرازي في كلمته المشهورةِ : لقد تأملتُ الطرقَ الكلاميةِ والمناهجَ الفلسفيةِ ، فما رأيتها تشفي عليلاً ، ولا تروي غليلاً . ورأيتُ أقربَ الطرقِ طريقةَ القرآنِ ... إلى أنْ قال : ومن جرَّبَ مثلَ تجربتي ، عرفَ مثلَ معرفتي [٣٦]. وبعدَ هذه الأقوالِ من أهلِ الخبرةِ والمعرفةِ التَّامةِ بعلمِ الكلامِ نستطيعُ الجزمَ بأنَّ هذا العلمَ لا يصلحُ لتقريرِ العقائدِ ، بل ليس هو بشيءٍ . ونجدُ أنَّ خيرَ مَنْ صوَّر هذا الشقَّ من التعريفِ بصورته الصحيحةِ هو ابنُ تيمية [٣٧] الخبيرُ بكلامِ أهلِ الكلامِ ؛ إذ يقولُ عن علمِ الكلامِ في جانبِ التقريرِ للعقيدةِ : هو كلحم جملٍ غثٍ ، على رأس جبلٍ وعرٍ ، لا سهلٍ فيرتقى ، ولا سمينٍ فينتقل [٣٨]**أمَّا الشقُ الآخرُ** من التعريفِ ، والمراد به : حراسةُ العقيدةِ والدفاعُ عنها من المبتدعةِ ، فلم يكن المتكلمون فيه كما زعموا . ومثالُ هذا أنَّ المتكلمين في أعظمِ بابٍ ؛ وهو الصفاتُ – وهو يمثلُ مساحةً كبيرةً من نقاشِ المتكلمين في بابِ العقائدِ – تجدُهم يثبتون بعضَ الصفاتِ ، ويتأوَّلون الباقي ، أو يثبتون الأسماء دونَ الصفاتِ ؛ فاستطالتْ عليهم الفلاسفةُ[٣٩]– وهم خصومهم التقليديون – فأوَّلُوا نصوصَ المعادِ ، واستدلوا عليهم بنفسِ حجتهم في نفي الصفاتِ ، فكانتْ إجابةُ المتكلمين ضعيفةً غيرَ مقبولةٍ ؛ لأنَّ نصوصَ الصفاتِ في القرآنِ أكثرُ من نصوصِ المعادِ ، ولأنَّه يلزمهم فيما أثبتوا نظيره فيما نفوا . وهناك أمثلةٌ أخرى تُثْبِتُ بما لا يدعُ مجالاً للشكِ عدمَ قدرةِ علمِ الكلامِ على حراسةِ العقيدةِ ، بل تثبتُ قدرته على تحريفِ العقيدةِ وإفسادها ؟[٤٠] وقد صوَّر شيخُ الإسلامِ ~ حالهم هذه في دفاعهم وحراستهم للعقيدةِ بقوله : لا للإسلامِ نصروا ، ولا للفلاسفةِ كسروا [٤١].فيتبين ممَّا ذكرتُ أنَّ علمَ الكلامِ لا يصْلحُ للتقريرِ ، كما أنَّه غيرُ صالحٍ للدِّفاعِ عن العقائدِ الدينيةِ ، وبمعنى آخر فإنَّ الحدَّ غيرُ مطابقٍ للمحدودِ .فإذا ثبتَ هذا فيجْدُر أنْ أبيِّنَ ما هو تعريفُ علمِ الكلامِ الذي يتطابقُ فيه الحدُّ معَ المحدودِ .اعلمْ أنَّه حينَ التأملِ في كتبِ المتكلمين سيظهرُ أنَّ أقربَ ما يكونُ في تعريفِ علمِ الكلامِ هو أنْ يقالَ : تقرير مسائلِ الاعتقادِ ، والدفاع عنها بالعقلِ

سواء وافقتها نصوصِ الوحي أم خالفتها [٤٢]. فجعْلُ "العقل أساساً " يعني أنَّ ما خالفَه – سواء من نصوصِ الوحيِ أم الكشفِ والإلهامِ – مردودٌ بأيّ طريقةٍ من الطرقِ : إمَّا بالتأويلِ ، أو بدعوى المجازِ ، أو دعوى عدمِ اليقينِ أوغيرها .وقولنا " سواء وافقتها نصوصِ الوحي أم خالفتها " يفسرُ اختلاطَ علمِ الكلامِ بمسائلِ الفلسفةِ وأصولِ المنطقِ ، والبعدِ عن نصوصِ الوحي ، وهذا يظهرُ جلياً كلما قرأتَ في كتبِ القومِ ، وأنت تستحضرُ هذا التعريفَ ، من غيرِ تعصبٍ وتقليدٍ .ولذا فإننا نجدُ كثيراً ممن كتبَ في علمِ الكلامِ [٤٣] لم يعرّفه تعريفاً دقيقاً وواضحاً للقارئ ؛ بل إنَّك تفهمُ من كلامه أنَّ علمَ الكلامِ هو العلمُ الذي يبحثُ في علمِ الاعتقادِ ، وهذا نفسه ما وجدناه في التعاريفِ السابقةِ ، وهذا قطعاً ليس بصحيحٍ ؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قرَّرَ للناسِ ما يعتقدونه ؛ فعلمُ الكلامِ مبنيٌ على الاعتمادِ على العقلِ في تقريرِ العقائدِ أو الرَّدِّ على الخصومِ كما هو مقرَّرٌ في " القانون الكلي " المتفقِ عليه بينهم لذا فالحريُّ بالمسلمِ الصادقِ إنِ اشتبه عليه شيءٌ بعدَ هذا ، أنْ يدعوَ اللهَ بدعاءِالنبيّ صلى الله عليه وسلم فيما روته عنه عائشةُ <: أنَّه كان إذا قامَ يصلي من الليلِ قال : « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِى مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ». [٤٤] فإنَّ العبدَ إذا أظهرَ افتقاره إلى مولاه ، ولازمَ مناجاته ودعاه ، وأطالَ النَّظرَ في كلامِ اللهِ ، وكلامِ رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكلامِ الصحابةِ ، وأئمةِ الدينِ المشهودِ لهم ؛ انفتحَ له بابُ الهدايةِ ، وشرحَ اللهُ صدره للحقِّ . أسأل أنْ يهدينا لما اختلفَ فيه من الحقِّ بإذنه ، وأنْ يشرحَ صدورنا ،وأنْ ينوّرَ قلوبنا ، وأنَّ يحيينا على السنةِ ويتوفانا على الإيمانِ ؛ إنَّه سميعٌ قريبٌ

المبحث الثاني سبب تسميته علم الكلام ومن أطلق عليه هذا اللقب

المطلب الاول : سبب التسمية

تعريفُ علمِ الكلامِ ، وحدُّه الصحيحُ الملائمُ لتطبيقاته واستعمالاته عندَ المتكلمين أنفسِهم ، ولكن تبقى تساؤلاتٌ تابعةٌ لهذا التعريفِ تحتاجُ إلى مزيدِ إيضاحٍ ؛ حتى تكتملَ الصورةُ ، وتتضحَ الفكرةُ لكلِّ من يريدُ التعاملَ مع هذا الفنِّ .

ومن أهم هذه التساؤلات ما يلي :

١/ ما سببُ تسميةِ هذا الفنِّ بعلمِ الكلامِ ؟

٢/ من الذي أطلقَ عليه هذا الاسمَ ؟

٣/ هل هذا الإطلاقُ : إطلاقُ مدحٍ أو إطلاقُ ذمٍّ ؟وهذا الأخيرُ مهمٌ جداً وهو ثمرةُ هذا المبحثِ ؛ لأنَّه سيتبينُ من خلاله كيفيةَ التعاملِ معه ابتداءً ؛ فإنْ كان الإطلاقُ إطلاقَ مدحٍ كما هو الحالُ مع باقي العلومِ النافعةِ ؛ فسنتعاملُ معه تعاملَ المستفيدِ منه . وإنْ كانَ الإطلاقُ إطلاقَ ذمٍ كما هو الحالُ مع العلومِ المذمومةِ كعلمِ الطلاسمِ والسحرِ والشعوذةِ ؛ فسندعو إلى الابتعادِ عنه والتحذيرِ منه ، وأنْ لا نتعاملَ معه إلا تعاملَ الناقدِ المبيّنِ لعواره وخلله ؛ حتى يتجنبه الطلبةُ والدارسون . فإذا نظرنا ابتداءً إلى أسبابِ التسميةِ التي جمعها العلماءُ في مصنفاتهم وكتبهم سنجدها على قسمين :

القسم الأول : أسبابُ مدحٍ أو مشعرةٌ بالمدحِ لهذا الاسم – أي علمِ الكلامِ . والقسم الثاني : أسبابُ ذمٍ أو مشعرةٌ بالذمِّ لهذا الاسمِ .

وهذا التحليل لهذه الأسبابِ مهمٌ جداً في حلِّ التساؤلاتِ المتقدمةِ فإذا عرفنا من هو صاحبُ التسميةِ أو من أطلقَها ؛ عرفنا سببَ التسميةِ ، وعندها نعلمُ أنَّ القسمَ الآخرَ من الأسبابِ إنما جاءَ لرفعِ الشناعةِ عن هذه التسميةِ والتعليلِ لصاحبِ الإطلاقِ الأوَّلِ ، فيكون التعليلُ المتأخرُ المخالفُ للتعليلِ الأوَّلِ إنَّما هو في حقيقته للتمويهِ وقلبِ الحقائقِ . ولتوضيحِ هذه الفكرةِ يقالُ : إذا كان المُطْلِقُ لهذا الاسمِ هم السلفُ وهذا تعليلهم ، فنعلمُ أنَّ تعليلَ المتكلمين هو لرفعِ الشناعةِ والتمويهِ وقلبِ الحقائقِ ، وهذا غيرُ مقبولٍ .وإذا كان المُطْلِق هم المتكلمونُ فإنَّنا لا نقبلُ تعليلَ السلفِ ؛ لأنَّه سيكونُ قلباً للحقائقِ وسأستعرضُ الآنَ الأسبابَ التي نصَّ عليها كلُّ فريقٍ :

أولاً / الأسباب المشعرة بالمدح [٤٥]: " وهي ما نَصَّ عليها المتكلمون "

١– لأنَّه يورثُ قدرةً على الكلامِ في تحقيقِ الشرعياتِ ، وإلزامِ الخصومِ .

٢– لأنَّه أوَّلُ ما يجبُ من العلومِ التي إنما تُعْلَمُ وتُتَعَلَّمُ بالكلامِ ؛ فأُطْلِقَ عليه هذا الاسمُ لذلك ، ثم خُصَّ به ، ولم يُطْلَقْ على غيره تمييزاً .

٣– لأنَّه إنما يتحققُ بالمباحثةِ ، وإدارةِ الكلامِ بين الجانبين .

٤– لأنَّه أكثرُ العلومُ خلافاً ونزاعاً ، فيشتدُّ افتقاره إلى الكلامِ معَ المخالفين والردِّ عليهم .

٥– لقوةِ أدلته صارَ كأنَّه هو الكلامُ ، دونَ ما عداه من العلومِ ، كما يقالُ للأقوى من الكلامَيْن هذا الكلامُ .

٦- لابتنائه على الأدلةِ القطعيةِ ، المؤيد أكثرها بالأدلةِ السمعيةِ ؛ وهو أشدُّ العلومِ تأثيراً في القلبِ وتغلغلاً فيه ، فسُمِّيَ بالكلامِ المشتقِ من الكَلْمِ : وهو الجرحُ .

٧- أنَّه في مقابلِ التصفيةِ التي مدارها السكوتُ ، فسمِّيَ بما يقابلُ السكوتَ [٤٦].

٨- لأنَّه في بيانه لطُرُقِ الاستدلالِ على أصولِ الدينِ ، أشبه بالمنطقِ في إيضاحه مسالكَ الحجَّةِ في علومِ أهلِ النظرِ ، وأُبْدِلَ المنطقُ بالكلامِ للتفرقةِ بينهما .

٩- لأنَّ مسألةَ الكلامِ أشهرُ مسألةٍ تكلموا فيها وبحثوها ، وكانتْ أكثرَ المسائلِ نزاعاً وجدلاً . وقد رجَّحَ الدكتورُ عبدُ الرحمنِ بدوي هذا السببَ ، وقالَ عن الباقي : مماحكاتٌ لفظية ، ولا معنى لها [٤٧] . وسيظهرُ بعدَ قليلٍ أنَّ هذا السببَ أيضاً من المماحكات اللفظية ، ولا معنى له .

ثانياً / الأسباب المشعرة بالذم : " وهي ما نصَّ عليها أهلُ السنةِ " .

١- سُمُّوا " أهلَ الكلامِ " لأنَّ ما يقرِّرُونه من الحدودِ لا يفيدُ الإنسانَ علماً لم يكن عنده ، وإنمَّا يفيدُه كثرةَ كلامٍ ، وزيادةَ القيلِ والقالِ بما لا يُجدي[٤٨].

٢. لأنهَّم تكلموا فيما نهى النبيُّ صلى الله علية وسلم عن الكلامِ فيه كالقدرِ .

٣. ولأنهَّم تكلموا في أمورٍ من العقيدةِ سكتَ عنها أصحابُ النبيِّ صلى الله علية وسلم كالقدر.

وبعدَ أنْ ذكرنا جملةً وافرةً من الأسبابِ ؛ لابدَّ من تعيينِ من هو الأوَّلُ في إطلاقِ هذا اللقبِ على هذا الفنِّ حتى نعرفَ الصحيحَ من هذه التعليلاتِ .لقد وردَ التلقيبُ بهذا الاسمِ والفنِّ عن التابعين وأتباعِ التابعين ، وقبلَ أنْ تكونَ للمتكلمين مدارسُهم وكتبهم ، بل وقبلَ أنْ تتشكلَ فرقهم تشكلاً واضحاًقالَ الإمامُ مالكٍ : إياكم والبدعَ ؟ قيلَ : يا أبا عبدِ اللهِ وما البدعُ ؟ قال : أهلُ البدعِ الَّذين يتكلمونَ في أسماءِ اللهِ وصفاتهِ وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عمَّا سكتَ عنه الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان [٤٩] ، وعن مصعبِ بنِ عبدِ اللهِ الزبيري [٥٠] قالَ : كانَ مالكُ بنُ أنسٍ يقولُ : الكلامُ في الدينِ أكرههُ ، ولم يزلْ أهلُ بلدنا يكرهونه وينهون عنه ، نحو الكلامِ في رأيٍ جهمٍ[٥١] والقدرِ وما أشبه ذلك» [٥٢]، ويقولُ القاضي أبو يوسفَ [٥٣] صاحبُ أبي حنيفةَ: من طلبَ الدينَ بالكلامِ تزندقَ ... [٥٤]، ويقولُ الإمامُ الشافعيُّ : ما أحدٌ ارتدى بالكلامِ فأفلحَ [٥٥]، ويقول أيضاً : حكمي في أهلِ الكلامِ أن يُضْرَبوا بالجريدِ ، ويحْمَلُوا على الإبلِ ، ويُطَافُ بهم في العشائرِ والقبائلِ ، ويُنَادي عليهم : هذا جزاءُ من تركَ الكتابَ والسنةَ ، وأقبلَ على الكلامِ [٥٦]، ويقولُ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل لا يفلحُ صاحبُ كلامٍ أبداً ، علماءُ الكلامِ زنادقةٌ [٥٧] [٥٨]. فتبينَ بهذا أنَّ أوَّلَ من أطلقه هم سلفُ الأمَّةِ وأئمتها ، وأنَّ إطلاقَهم كان ذماًلا مدحَ فيه . وقد رجَّحَ هذا الرأيَ الأستاذُ مصطفى عبد الرَّزاقِ ؛ إذ يقول : ويبدو لي أنَّ البحثَ في أمورِ العقائدِ كانَ يُسمَّى كلاماً قبلَ تدوينِ هذا العلمِ ، وكانَ يُسمَّى أهلُ هذا البحثِ متكلمين . فلمَّا دونتْ الدواوينُ ، وألفتْ الكتبُ في هذه المسائلِ ، أُطلقَ على هذا العلمِ المدوَّنِ ما كانَ لقباً لهذه الأبحاثِ قبلَ تدوينها وعَلَماً على المتعرِّضين لها. معللاً أنَّ سببَ التسميةِ راجعٌ إلى سببين هما : الأوَّلُ والثَّالثُ مستنداً في ذلك إلى الأقوالِ المتقدِّمةِ عن الإمامين أبي حنيفةَ ، ومالكٍ ، وغيرهما . ثمَّ قالَ : ورَدُّ تسميةِ هذا العلمِ بالكلامِ إلى أحدِ هذين الوجهين أرجحُ عندي لمناسبته للواقعِ : من سبقِ هذه التسمية للتدوينِ . أمَّا سائرُ الوجوه فتجعلُ التسميةَ لاحقةً لظهورِ العلومِ وتدوينها[٥٩]. ولكنَّ الدكتورَ عبدَ الرحمنِ بدوي عقَّبَ على كلامِ الأستاذ مصطفى عبد الرَّزاق بقوله : «وهذا الرأيُ يصحُّ لو استطعنا أنْ نتتبعَ أوَّلَ ظهورِ اللفظِ : « كلام » للدلالةِ على البحثِ النَّظريِّ في العقائدِ الدينيةِ ، و« متكلم » للدلالةِ على من يتولى النَّظرَ في العقائدِ الدينيةِ . ولكن يفترضُ هذا افتراضاً دونَ أنْ يسوقَ عليه أي دليلٍ . بل الواقعُ ينقضه :ذلك أنَّ لواصلِ بنِ عطاءٍ (٨٠هـ - ١٣١هـ) كُتُباً في علمِ الكلامِ ذَكَرَتْها المصادرُ المختلفةُ ، فهل لُقِّبَ بلقبِ متكلِّمٍ هو أو زميله عمرو بن عبيد (٨٠هـ - ١٤٢هـ) ، وهل عُدَّتْ أبحاثُ كليهما في العقائدِ كلاماً ؟ سيكونُ من معنى هذا إنَّ إطلاقَ اصطلاحِ « كلام » و « متكلم » قد ظهرَ قبلَ بدايةِ القرنِ الثَّاني للهجرةِ إنْ صحَّ ما افترضه الشيخُ مصطفى من أنَّ استعمالهما كانَ قبلَ تدوينِ العلومِ . وهذا أمرٌ لم يثبتْ [٦٠].

وإذا تأمَّلْنا قولَ الدكتورِ عبدِ الرحمنِ بدوي ؛ فسوفَ نلحظُ ما يلي :

١. إنَّه علَّقَ صحةَ هذا القولِ على إثباتِ أوليةِ من نطقَ بلفظةِ « كلام » أو « متكلم » للدلالةِ على البحثِ أو الباحثِ في العقائدِ . وهذه الأوليةُ قد ثبتتْ من قولِ الإمامِ أبي حنيفة (٨٠هـ - ١٥٠هـ) ، وقولِ الإمامِ مالكٍ (٩٣هـ - ١٧٩هـ) ، فهما أوَّلُ من استعمل هاتين اللفظتين بهذا الاعتبارِ ، بل أثر عن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (٧٠هـ - ١٢٥هـ) ، وقد تقدم ذكر أقوالهم قريباً[٦١].

٢. إنَّه علَّ ردَّ ترجيحِ الأستاذ مصطفى - وهو الرَّاجحُ كما هو متقرِّر - بأنَّه افتراضٌ ليسَ عليه دليلٌ . وهذه مغالطةٌ ؛ فإنَّ الأستاذ مصطفى قد ذكرَ الدليلَ صراحةً ؛ وهو قولُ الإمامين أبي حنيفةَ ومالكٍ . ومن العجيبِ تجاهلُ الدكتورِ عبدِ الرحمنِ لهذا الدَّليلِ الصريحِ .

٣- إنَّه يرى على فرضِ استطاعةِ تتبعِ لفظةِ « كلام » و « متكلم » فإنَّ الواقعَ يقولُ : إنَّ لواصلِ بنِ عطاءٍ وزميله عمروِ بنِ عبيدٍ أبحاثاً أو كتباً في العقائدِ فهل لُقِّبا بمتكلمين وكتبهما بالكلامِ ؟ ثمَّ قالَ : وهذا أمرٌ لم يثبتْ .أولاً : إنَّ واصلاً وعمروً كانا معاصرين لأبي حنيفةَ ومالكٍ ؛ فليس لهما أفضليةٌ في السبقِ . ثانياً : لا يمنعُ أنْ يكونَ واصلٌ وعمروٌ أوَّلَ من كتبا في العقائدِ على طريقةِ المتكلمين ، ويكون أبو حنيفةَ ومالكٍ أوَّلَ من أطلقَ هذا اللقبَ عليهما . والمقصودُ هنا من أطلقَ لا من كتبَ ؛ فيثبُ بهذا الأوليةُ للسلفِ في الإطلاق .ثالثاً : قوله : وهذا أمرٌ لم يثبتْ. هذه العبارة تقالُ في حقِّ الكتابةِ المنسوبةِ لواصلٍ وعمروٍ ، لا في حقِّ الإطلاقِ المنسوبِ لأبي حنيفةَ ومالكٍ ؛ فالإطلاقُ ثابتٌ والكتابةُ غيرُ ثابتةٍ ؛ فيترجحُ الثابتُ وهو أوليةُ إطلاقِ السلفِ . بل الَّذي يدلُّ على بُعْدِ ترجيحِ الدكتورِ عبدِ الرحمنِ عن الصوابِ ؛ هو قوله : ولا نجدُ في كتبِ الشافعيِّ (١٥٠هـ – ٢٠٤هـ) استعمالَ هذين الاصطلاحين ، ممَّا يجعلُ وفاته حداً أوَّلاً لاستعمالِ اللفظِ [٦٢]. وهذا أمرٌ غيرُ صحيحٍ تماماً فقد أُثِرَ عن أبي حنيفةَ ، ومالكٍ ، وأبي يوسفَ (١١٣هـ – ١٨٢هـ) ، والشافعيِّ استعمالُ لفظِ الكلامِ أو المتكلمين بهذا الاصطلاحِ ، بل ما أُثِرَ عن الشافعيِّ في هذا كثيرٌ ذكرْتُ طرفاً منه هنا. وقد يُعْتَذَرُ للدكتورِ عبدِ الرحمنِ بدوي بأنَّه لم يطلعْ على أقوالهم ؛ ولكن عدمُ علمه بهذه النُّقولِ لا ينفي وجودها ، والمثبتُ مقدمٌ على النافي . فعندها نعرفُ وبكلِ وضوحٍ أنَّ الأسبابَ التي يذكرهاالمتكلمون ليستْ هي الأسبابُ الحقيقيةُ والصحيحةُ لتسميته بهذا اللقبِ (علم الكلام) ، بل هو لقبٌ على علمٍ ذمَّه أئمةُ الدينِ ، وهو شعارٌ لعلمٍ مذمومٍ منهي عنه ويذكرُ قريباً من هذه النتيجةِ أحدُ الباحثين في علمِ الكلامِ ؛ إذ يذكر : أنَّ السببَ في ظهوره هو مجموعةُ الآثارِ الناهيةِ عن الكلامِ في بعضِ أمورِ الدينِ ؛ كالقدرِ ، والتفكرِ في ذاتِ اللهِ – تعالى – وهو تفسيرٌ يبدو لي أكثرَ اقناعاً مما ذكره التفتازاني وغيرُه . ويمكنُ أنْ نضيفَ إلى ذلك السببِ أمراً آخرَ قريباً منه ؛ هو أنَّ البحثَ العقليَّ في العقائدِ كلامٌ خالصٌ لا عملَ تحته ... [٦٣]

المطلب الثاني: موقف الامام ابو حنيفة من علم الكلام من خلال مؤلفاتها

قبل الدخول في بيان موقفه من علم الكلام لا بد من لمحة موجزة عن "علم الكلام" وذكر بعض أقوال السلف في ذلك ومن ثم يعرف نوع الكلام الذي كان يجادل به الامام خصوم الدين والفرق في زمنه.فعلم الكلام هو اثبات العقائد الدينية بالأدلة العقلية وتدور مسائله حول أصول العقيدة الاسلامية وإثباتها والدفاع عنها ضد الآراء المخالفة لها.وقد عرفه ابن خلدون بأنه: (علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانة بالأدلة العقلية, والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة) [٦٤] وقد نشأ هذا العلم على أيدي المعتزلة، وأول ما نسب إليهم حيث كانوا أول من أحدث الكلام في مسائل الوعيد وإنكار القدر ونفي الصفات بدعوى الدفاع عن الاسلام مستخدمين أدلة ظنوا أنها عقلية.وقد تبنته فرق كثيرة تتفاوت قرباً وبعداً من الإسلام، واستخدام أهله مناهج وأساليب تخالف القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم تطور حتى غلا بعضهم إلى حد يخرج من ملة الإسلام ، ومنهم من أسرف في تبني المناهج الدخلية والآراء الغربية، فخلط الكلام في العقيدة بفلسفات وثنية شرقية او غربية. وانتهى الأمر به إلى مجرد مباحث كلامية عقيمة، وشبهات وإيرادات وردود عقيمة ومسالك مجانية للشرع وجعله تابعاً للعقل وتكفير الخصوم ونحو ذلك من المفاسد الكثيرة التي ترتبت على علم الكلام.اقوا على كل من تكلم من مسائل وأصول تخالف الكتاب والسنة (المتكلمون)و(أهل الكلام)وأصبح مصطلح (علم الكلام) مذموماً عندهم ويعنون به الكلام البدعي المذموم المخالف للكتاب والسنة، والكلام في الله ودينه بغير علم [٦٥]وقد كان الإمام أبو حنيفة من أوائل من تصدى لهؤلاء حيث عاش في عصر ظهرت فيه البدع وكثر فيه الجدل والخصومات بين الفرق والنحل، وكانت أرض العراق ملتقى للثقافات والديانات، ولهذا كان من الطبيعي أن يشتغل الإمام بما يدور في عصره ولا سيما في بداية طلبة للعلم، فكان يجادل الفرق ويخاصمهما ويخوض في كلامها حتى نسُب إلى بعضها وحمل بعض الأقاويل وألبس بعض التهم فقد كان في بداية أمره صاحب خصومات لم يكن يتفقه [٢] فقد كان يخصام أهل الأهواء والبدع وقيل أنه رحل إلى البصرة لهذا الشأن أكثر من عشرين مره[٦٦] ، وكان يرى أن علم الكلام الفقه الأكبر كما ذكر ابنه حماد: يابني تعلم الكلام فإنه الفقه الأكبر[٦٧].ولما قيل له في عدم اشتغال الصحابة بهذا العلم قال:(أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما لم يدخلوا فيه لان مثلهم كمثل قوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكلفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا فلا يسعنا إلا نعلم من المخطئ منا، ومن المصيب؟ وألا نذب عن أنفسنا...) [٦٨]. وقد استمر في ذلك حتى أصبح رأساً في الكلام والجدل، يبين ذلك مناقشه ومجادلاته التي حفظتها كتب التواريخ والفرق عن مجادلاته مع الملاحدة والخوارج والدهرية وغيرهم.وقد استمر في تلك المحاورات والمجادلات لأهل البدع، ثم ترك الكلام والجدل وحذر منه وأقبل على الفقه قال قبيصة بن عقبة:(ت ٢١٥هـ)كان الامام أبو حنيفة رحمه الله في أول أمره يجادل أهل الأهواء حتى صار راساً في ذلك منظوراً إليه، ثم ترك الجدل ورجع إلى الفقه والسنة وصار إماماً[٦٩]وقد ذكروا في تحوله الى الفقه بعد الجدل حكايات كثيرة [٧٠] وانه أخذ على أهل الكلام مآخذ وأخطاء ثم رأى أن تركه أولى، وقال ((فلما ظهر لنا في أمورهم هذا الذي وصفناه تركنا المنازعة والمجادلة والخوض في الكلام ورجعنا إلى ما كان عليه السلف)). وقال

له ابنه: ((يا أبت ألست كنت تأمرني به قال: بلى يابنى وأنا اليوم أنهاك عنه.. يابني إن هؤلاء المختلفين في ابواب الكلام ممن ترى كانوا على قول واحد ودين واحد حتى نزغ الشيطان بينهم فألقى بينهم العداوة والاختلاف فتباينوا) [٧١]وقد قيل أن تلك الروايات لاتصح من حيث السند ولا يصح الاعتماد عليها للجهالة ببعض الرواة، وبعضها منقطع لأن الإمام بطبيعة عصره وبيئته سلك هذا الطريق المليء بالآراء والأفكار ثم اشتغل بالفقه لحاجة الناس إلى ذلك أما اشتغاله بعلم الكلام فهو في بدايته وقبل اختلاطه بالفلسفة الأجنبية وهو مع اشتغاله بالفقة كان ذا دفاع وجدل على طريقة السلف كما سيظهر من دراسة مؤلفاته ومناقشة المسائل لأنها تجمع كثيراً من أقواله وتبين مذهبه وإن كان هناك مسائل أخرى في كتبه لكن كلامه فيها أقل وهي مما لم يثر فيها خلاف حول موقفه في أصول الدين وهي: الإيمان – الارجاء– الصفات– القدر– الرؤية– دعوة خلق القران.

المطلب الثالث : العوامل والاسباب التي ادت لظهور علم الكلام

اولا: حركة الترجمة ان من اهم العوامل التي ادت الى نشاة علم الكلام في الاسلام ان لم تكن اهمها حيث اثرت في بعض المسلمين الذين افتتنوا وتاثروا بها منهجيا وموضوعا وحاولوا تفسير القران والنصوص الشرعية والاحاديث في ضوئها وعلى منهجها فافرزت مباحث فلسفية ومنطقية غريبه عن القران والسنة ومنهج السلف الصالح . وقد بدأت حركة ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية على يد خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٩٠ هـ) وكان محبا للعلوم , حيث امر بأحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينه مصر وقد تفصح بالعربية فأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى اللسان العربي , وكان هذا اول نقل في الاسلام كما يقول ابن النديم. ثم بدأت الترجمة تزداد شيئا فشيئا وبلغت قمة ازدهارها في عصر العباسيين لاسيما المأمون ت (٢٢٧هـ) والذي ارتبطت الترجمه بأسمه وقد قسم بعض الباحثين المراحل التي مرت بالترجمة في هذا العصر الى ثلاث مراحل:المرحلة الاولى تبدأ من خلافة المنصور (ت١٥٨هـ) اي من سنة ١٣٦هـ الى اخر عصر هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ.وفي هذه المرحلة ترجمت بعض كتب ارسطو في المنطق.ومن اشهر المترجمين في هذه الفترة : ابن المقفع , يوحنا بن ماسويه , جوجيس بن جبرائيل , والبطريق والملاحظ ان هؤلاء على غير منهج السلف او غير مسلمين اصلا.المرحلة الثانية تبدأ من خلافة المأمون (ت٢٢٧هـ) اي من سنة ١٩٨هـ الى سنة ٣٠٠هـ. وفي هذه المرحلة ترجمت اهم الكتب اليونانية في الفلسفة والمنطق لكتب ابوقراط وجالينوس وارسطوطاليس وبعض كتب افلاطون وشروحها ومن اشهر المترجمين في هذه الفترة : يوحنا اويجي ,البطريق , وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين.المرحلة الثالثة تبدأ من سنة ٣٠٠هـ الى منتصف القرن الرابع الهجري .وقد ترجمت في هذه المرحلة الكتب المنطقية والطبيعية لأرسطو وتفسيرها للأسكندر الافروديسي ويحيى النحوي وغيرهما .ومن اشهر المترجمين في هذه الفترة : متى بن يونس , يحيى بن عدي وابنه زرعة ,وسنان بن ثابت بن قرة.واذا تأملنا حركة الترجمة وجدنا ما يلي :

١. ان اكثر المترجمين كانوا منحرفي العقيدة ,فهم ما بين زنديق حاقد او نصراني متربص او مرتزق متهالك . [٧٢]

٢. ان حركة الترجمة قد بدأت قبل عصر المأمون ,الا انها ارتبطت بأسمه وذلك يرجع الى احد امرين:

الاول: انه اهتم بتعريب كتب الاوائل اكثر من سابقه , فشجع على الترجمة واحضر الكتب اليونانية وبذل الاموال للنقلة والمترجمين فشجع غلى الترجمة وأنشأ لها دارا عرفت بدار الحكمة , فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس وانتشرت كتبهم لعامة الامصار , واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها واكثروا من النظر والتصفح لها , فأنجز على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين. [٧٣]الثاني: انه ترجم الكتب الخاصة بالالهيات والاخلاق ونح ذلك مما سموه ب (ماوراء الطبيعة) [٧٤]وهذا لم يفعله من سبقوه ,وانما اقتصروا على كتب الكيمياء والطب وغيرها .وقد قال عنه شيخ الاسلام ابن تميمه رحمه الله "ما اظن ان الله يغفل عن المأمون و لا بد ان يقابله على ما اعتمده مع هذه الامه من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين اهلها. [٧٥]" وقد تعددت الروايات في كيفية دخول هذه الكتب الى بلاد المسلمين كما نقله السيوطي عن الصلاح الصفدي . [٧٦] [٧٧] والمراد ان هذه الترجمة جرت على المسلمين مفاسد عظيمة , فأفسدت عقائدهم وفرقت كلمتهم وحرفت دينهم وزادت اهل البدع ضلالا على ضلالتهم والكفار كفرا على كفرهم.

٢. الاحتكاك المباشر بين الملسمن وبين اصحاب الديانات والمذاهب المختلفة:

بعد انتشار الفتوحات الاسلامية وامتداد حركة المد الاسلامي واتساع الدولة الاسلامية التي انضوى تحت لوائها كثير من الامم والشعوب الذين ينتمون الى اجناس واعراق مختلفة ويدينون بأديان ومذاهب وفلسفات وعقائد متباينة ما بين يهودية و نصرانية و مجوسية و براهمه و ماسونيه وغيرها , ومع انه دخل كثير منهم في الاسلام رغبة او رهبه الا ان هذا الاحتكاك واللقاء المباشر بينهم وبين المسلمين ادى الى تسرب عقائدهم الى الملمين ,واثير الجدل حول هذه المسائل فبمجرد ان وصل الاسلام الى هذه البلاد بدأت هذه العقائ تتنازعه نزاعا فكريا شديدا حيث كان اهل

البلاد المفتوحة مسلحين بثقافات ذات خلفيات لاهوتية سواء نصرانية او يهودية او اغريقية او فلسفية . ومع ان كثيرا منهم دخل في الاسلام رغبة لكن لم يرسخ الايمان في قلبه ولم يستطع التخلص من جميع رواسب وبقايا عقيدته السابقة , بل لا زال متأثرا بها و بمعتقداته وارائه وتصوراته السابقة , بل وحتى اساليب الجدل التي تعلمها في دينه السابق ولم يستطع التخلص من المقارنة بين دينه الجديد وبين ما في نفسه من موروث الاباء والاجداد فأخذوا يثيرون الجدل حولها .هذا من جهه ومن جهه اخرى فأن هؤلاء الاعاجم يجهلون اللغة العربية التي يفهم بها نصوص القران والسنه فيفتانون على الشريعه حسبما فهموا او يدينون بها و يخالفون الراسخين في العلم ويتأولون النصوص على غير وجهها . وكان الحسن (ت١١٠هـ) يدرك خطورة ذلك فيقول محذرا : "أهلكتكم العجمة يتأولون القران على غير تأويله " وقد ارجع الامام الشافعي ظهور بعض المسائل الكلامية الى العجمة كخلق القران ونفي الرؤية وغيرها. [٧٨]وذكر الفريابي ان سفيان الثوري (ت١٦١هـ) اذا رأى النبط يكتبون العلم تغير وجهه فقال له: يا أبا عبدالله اراك اذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك قال :كان العلم في العرب وفي سادات الناس واذا خرج عنهم وصار الى هؤلاء النبط والسلفة غير الدين. [٧٩]وقد علق الشافعي فقال "ولعلك اذا استقريت اهل البدع من المتكلمين او اكثرهم وجدتهم من ابناء سبايا الامم ومن ليس اصالة في اللسان العربي فعما قريب يفهم كتاب الله على غير وجهه كما ان من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها. [٨٠]واذا تأملنا المسائل التي اثير حولها الجدل والنقاش نجد انها لم تظهر وبشكل واضح في الامة الاسلامية الا بعد التقاء المسلمين بغيرهم من اصحاب الديانات والمذاهب المختلفة سواء كان مباشرا كما حدث بعد الفتوحات الاسلامية او غير مباشر عن طريق الترجمة. فلم تكن مسألة الجبر والاختيار والنزاع في الصفات والقول بالتعطيل وخلق القران وفناء الجنة والنار من نتاج المسلمين بل هي مسائل معروفة تكلم فيها الفلاسفة القدماء واليهود والنصارى ولم تظهر في الساحة الاسلامية الا بعد هذا الاحتكاك.واذا ما تتبعنا هذه المسائل لمعرفة جذورها ومصادرها عرفنا دور هذا الاحتكاك في نشأة علم الكلام. فهذه مسألة الجبر والاختيار تكاد تجمع المصادر على انها ترجع الى جذور نصرانية. فأول من اثارها هو معبد الجهني قتل (٨٠هـ) الذي اخذها عن سوسن او سنسوية النصراني وتبناها من بعده غيلان الدمشقي [٨١].وكان هو ايضا قبطيا ثم اسلم واظهر مذهبه .وكذلك مسألة تعطيل الصفات فأول من قالها الجعد بن درهم قتل سنة (١٢٤هـ) وكان من اهل حران وكان فيها خلق كثير من الفلاسفة .ويذكر المؤرخون وكتاب الفرق سلسة اسناد هذه المقولة حيث اخذها الجعد عن ابان المؤرخين وكتاب الفرق سلسلة اسناد هذه المقولة من حيث اخذها الجعد عن أبان بن سمعان واخذها أبان عن طالوت ابن اخت لبيد بن الاعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي صلى الله علية وسلم وتاثر به الجهم بن صفوان لكنه لم يظهرها الا بعد مناظرته لجماعة السمنية (الهنود) الذين اشتهروا بحصرهم العلم فيما يقع تحت الحس فشككوه في دينه حتى ترك الصلاة اربعين يوما وقال لا اصلي لمن لا اعرفه فاظهر المذهب وبنى عليه من بعده[٨٢].ولم يقتصر الامر على هؤلاء بل كان هناك من اسلم رهبة وخوفا من القتل فاظهر الاسلام وابطن الكفر واندسوا بين صفوف المسلمين لإثارة <الشبه وإشاعة المقالات الفاسدة التي تثير الفتنة بين المسلمين مثل اليهودي المنافق[٨٣] الذي دعا الى إلى الوهية غير الله, وهو أول من أظهر القول بلنص بإمامة علي والغيبة والرجعة والمهدية وتبعتها الفرق الباطنية. كما كان لهم دور كبير في دس كثير من الأحاديث الموضوعة والمكنوبة على النبي صلى الله عليه وسلم لتشويه عقيدة المسلمين وإلقاء الشكوك والشبه في نفوسهم. ومع أن هؤلاء الموتورون لم ينأوا عن الكيد للإسلام إلا أن السسائل الكلامية التي أثاروها لم تطرح على بساط البحث والنظر والمناقشة بل ووجهت بحزم وقوة من قبل السلف من الصحابة والتابعين الذين حذروا من أصحابها وبدعوهم وضللوهم ونهوا عن مجالستهم وكذلك في عهد الدولة الأموية فهذا الجعد قتله خالد القسري سنة٨٠ هـ وكذلك الجهم قتله مسلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ قال القيرواني:(ت٣٣٢هـ) << رحم الله بني أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع في الإسلام بدعة[٨٤]اما في عصر الدولة العباسية فقد كان للفرس دور بارز في الكيد للإسلام فبعد ان فشلوا في محاربة المسلمين عسكريا لجأوا الى محاربتهم في عقيدتهم وقد أشار ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) الى ذلك وأنهم لما فشلوا في حرب الإسلام بالسيف لجأوا الى الكيد للإسلام فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار حمية أهل بيت رسول الله صلى الله علية وسلم واستشناع ظلم علي رضي الله عنه ثم سلكو بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام [٨٥]. وحاربوهم في عقيدتهم وأخذوا ينشرون مذاهبهم الفلسفية القديمة كالمانوية والزاردشتية والمزدكية بل وترجموا كثيراً من كتبهم إلى اللغة العربية[٨٦] على يد ابن المقفع (قتل سنه ١٤٥هـ) وغيره. ومن المسائل التي تسربت إلى العقيدة الإسلامية بعد هذا الاحتكاك مسألة البحث في المعاد– هل هو للأجسام أو الأرواح أو هما معاً أو للأرواح فقط التي أثارها المانوية. وكما ان كتب علم الكلام مليئة بمناقشة معتقدات المانوية وآرائهم وتعاليمهم[٨٧]. ولا يفوتنا ان نشير هنا الى فريق ثالث احتك بهم المسلمون وهو الذين بقوا على دينهم من اليهود والنصارى الذين ما فتأوا يكيدون للمسلمين ويثيرون الجدل والشبهات محاولين زلزلة العقائد وبلبلة النفوس والتشكيك في الاسلام, فقد اثار اليهود الجدل بين المسلمين حول الذات الالهية والصفات ومعروف عنهم التشبيه والتنجيم كما هو في كتبهم وقد انتقلت هذه الافكار الى التراث الاسلامي مما عرف

بالاسرائليات في كتب التفسير والحديث كما اثاروا ايضا الجدل جول الجبر والاختيار . اما النصارى فما ان وصل الاسلام الى الشام والعراق ومصر الا وبدأ النصرانية تتنازع نزاعا فكريا شديدا ووجد المسلمون النصارى مسلحين بثقافة فلسفية لاهوتية وانبهر المسلمون بهذا انبهارا عظيما فثار الجدل حول صفة المسيح وحول مسائل الالوهية وفكرة الجوهر والعرض والأقانيم الثلاثة والوحدانية وفكرة الخطيئة والصلب، إلا أن هذا الجدل اشتد وبلغ ذروته بعد أن اعتنق كثير من النصارى الاسلام. فتحرك آباء الكنيسة وفي مقدمتهم يوحنا الدمشقي(٨٨). الذي أخذ يرسل رسائله إلى أقباط مصر وأخذ يناقش فيها العقائد الاسلامية ليحول بينهم وبين اعتناق الاسلام. ولم يكتف بهذا أخذ يلقن أتباعه أصول الجدل وأساليب محاورة المسلمين بهدف تشكيكهم في دينهم(٨٩)

٣- ضعف الايمان في النفوس.رغم إجماع مؤلفي الفرق على ان ظهور المسائل الكلامية يرجع الى تيارات خارجية، إلا أن هذه المشكلات الكلامية ماكانت لتروج بين المسلمين ويثار الجدل حولها لو لا انحسار الوازع الديني. فضعف الإيمان في النفوس هو الذي هيأهم لتقبل طرح مثل هذه المسائل وإثاره الجدل حولها، وكلما زاد البعد عن عصر النبوة زاد ظهور البدع والمشكلات الكلامية . وقد تقدم أن بذور الكلام قد ظهرت في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، لكنهم قاموها بحزم وشدة ووأدوها في مهدها. لكن هذه المقاومة ضعفت تدريجياً بعد موت كبار الصحابة رصوان الله عليهم ثم موت كبار التابعين. ولم تطل هذه التيارات برأسها إلا بعد انقضاء عصر تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية، حيث لم تجد مواجهة أو صداً كما حدث في العهود السابقة.وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن القدرية لم يجرؤا على الكلام في الذات أو الصفات الإلهية إلا في أواخر صغار التابعين أو في أواخر الدولة الأموية، وكانوا قبل ذلك يقتصرون في الكلام على الأحكام والوعد والوعيد(٩٠). ومن جانب آخر فضعف الإيمان أدى إلى الإعراض عن الكتاب والسنة والاشتغال بالكلام والجدل ومناظرة الخصوم. يقول شيخ الإسلام واصفاً حالهم: << ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما هم أبعد عن معرفة الحديث وأبعد عن اتباعه من هؤلاء وهذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله صلى الله عليه وسلم وأحواله بمواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ماقاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه. حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره، بل ربما ذكرت عنده آية فقال: لا نسلم صحة الحديث وربما قال لقوله عليه السلام كذب وتكون آية من كتاب الله وقد بلغنا من ذلك عجائب وما لو يبلغنا أكثر(٩١).فلا هم لأحد إلا الجدل والمناظرة والانتصار لمذهبه ولو بالباطل. روى حماد بن زيد أنه قال: جلس عمرو بن عبيد وشبيب بن شيبة ليلة يتخصمان إلى طلوع الفجر، قال: فلما صلوا جعل عمرو يقول: هيه أبا معمر هيه ابا معمر! (٩٢). كما أنهم جعلوا آراءهم وعقولهم مقدمة على النصوص الشرعية، وإذا ما تعارض النص الشرعي مع رأي أحدهم تأوله على غير وجهه وصرفه من معناه الظاهر ليوافق رأية وهواه. وبلغ من اعتدادهم بعقولهم الخوض في المتشابه وفي الغيبيات التي لا مجال لإدراكها، فخاضوا في أسماء الله وصفاته وأفعاله بعقولهم القاصرة. والمتأمل لكتبهم يلحظ قلة تعظيمهم لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم << وجرأتهم على الله وقله توبتهم وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد قياس لئلا يقع انقطاع>>(٩٣)

الخاتمة

١ – الدفاع عن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وبيان رسالته ومعجزاته وخلقه وأن الوحي الذي أنزل عليه مثل غيره من الرسل عليهم السلام والتنبيه الى ذكره بعض عقلاء الاعداء عن شخصيته صلى الله عليه وسلم وجوانب العظمة التي وهبه الله اياها.

٢- بيان ما في القران من التحدي والإعجاز وعرض الأخبار عن أشراط الساعة التي أشار اليها الدين في أصليه القرآن والسنة. والله غالب على أمره قال تعالى:﴿سَنُرِيهِم ءَايتنا في الأفاقِ وفي أنفُسهِم حتى يَتَبَينَ لَهُمْ أنهُ الحَقُ﴾ والله اعلم وهو الهادي إلى سواء السبيل..

٣- العناية ببيان آثار عقائد افسلام في النفوس من الراحة والطمأنينة ومعرفة المراد من خلقه ومعاده.

٤- توجيه العناية الى المسائل التشريعية التي اعتاد أعداء الدين أن يثيروا حولها الجدل والثرثرة مثل قضايا المرأة والحدود الشرعية وحقوق الانسان والجهاد.

٥- عرض العقائد الاسلامية عرضاَ واضحاً مشرقاً وتقديمها بلغة عصرية واضحة متسمة بالسهولة واليسر والاستدلال بأدلة مقنعة تواجه حملات التشويه.

٦- تجنب سقطات علم الكلام والاعتماد على طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية في تقرير العقائد ونشر الدين- دون تعقيدات الفلسفة وعلم الكلام- فهما كفيلان بهداية الناس إلى الله قديماً وحديثاً.

٧- الاستفادة من منهج السلف الصالح في ردهم على خصوم الدين وأعداء الملة في رد الحجة بالحجة والدليل العقلي بدليل عقلي موافق للشرع وذلك لتصدي للفلسفة التي ترسبت الى بلاد المسلمين تحت مسميات مختلفة كبعض أنواع البرمجة اللغوية العصبية وغيرها من الفكر الوافد الى بلاد الاسلام والذي انتشر بطريقة مذهلة وتبناه بعض أبناء المسلمين .

٨- الغاية من علم الكلام هي تقوية اليقين بالدين الاسلامي عن طريق اثبات العقائد الدينية بالبراهين القطعية ورد الشبه عنها ليرقى المسلم من التقليد الى اليقين.

٩- إن الغرض الأصلي لعلم الكلام هو الدفاع عن العقيدة الاسلامية في الحفاظ على ايمان المسلمين من ورود الشبهات الى اذهانهم والذي بدوره يكون محفزاً قوياً لهم الى دعوة غيرهم من الأمم للدخول الى دين الاسلام الحق.

١٠- ان نشأة علم الكلام في تاريخ الفكر الاسلامي بدأ في العصور التي تلت عصر النبوة نتيجة لتظافر عدد من العوامل والاسباب التي ادت الى ذلك، والتي منها ما يخص طبيعة العقل الانساني ذاته وكذلك الخلاف حول تأويل بعض نصوص الدين والخلاف السياسي يضاف الى ذلك الاحتكاك الثقافي بالأمم الاخرى وحركة الترجمة.

١١- لعلم الكلام اثر كبير في الدعوة الى الله بالمنطق والحجة، وفيه أجوبة لأسئلة الملحدين والكافرين المستعصية التي يحتجون بها على المسلمين بكل براعة.

١٢- ينبغي الخروج من دائرة النزاعات والصدامات الفرعية وتوحيد الجمهود للإنتفاع بعلم الكلام للقيام بوظيفته التي ورثناها عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتي اختص الله بها أمة الاسلام بأن نكون صفاً واحداً للدعوة الى الله والوقوف بوجه اعداء الاسلام، وإيجاد الثغرات التي تمكنهم من الطعن في عقيدتنا لبث الضعف بين صفوف المسلمين والرد عليهم ودحض أباطيلهم.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

١. إحصاء العلوم لأبي نصر الفارابي / تحقيق: عثمان أمين / مطبعة الإنجلو المصرية / القاهرة – ١٩٦٨م.

٢. إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) / خرّج أحاديثه: الإمام زين الدين أبي الفضل العراقي (ت ٨٠٦هـ) / دار الكتب العلمية / ط١ / بيروت – ١٩٨٦م.

٣. ابن ابي العز شرح العقيدة الطحاوية تحقيق د. عبدالله التركي .

٤. المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٧هـ) / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة – مصر.

٥. صحيح البخاري عبدالله بن محمد إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) / دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان.

٦. ابن حجر تهذيب التهذيب ط١ بيروت ١٩٨٥م

٧. ابن حزم ك ابو محمد علي بن احمد الفصل في الاهواء والملل والنجل ط١ القاهرة ١٣٢١هـ.

٨. ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله ط٢القاهرة ١٤٠٣هـ وطبقة اخرى السلفية ١٣٨٨هـ.

٩. ابن كثير : اسماعيل البداية والنهاية ط ١ مطبعة المعارف الاولى سنة ١٩٦٦م

١٠. المنقذ من الضلال للامام الغزالي : تحقيق محمود بيجو ط٢دار التقوى دمشق ١٩٩٢.

١١. ابن قتيبة :عبدالله بن مسلم تأويل مختلف الحديث ط٢ الكتب ١٤٠٥ هـ.

١٢. المكي :اخبار ابي حنيفة واصحابة ط١ حيدر آباد ١٣٩٤هـ.

١٣. الملطي :مجمد بناحمد التنبية والرد على اهل الهوى والبدع ط٢ رمادي للنشر السعودية ١٤١٤هـ.

١٤. العقائد النسفية شرح العقائد النسفية ط١ سنة ١٣٣١هـ مصر

١٥. اللاكائي هبة الله بن الحسن شرح اصول الدين اعتقاد اهل السنة والجماعة دار طيبة للنشر والتوزيع تحقيق احمد سعد حمدان ١٤٠٢هـ

١٦. الهروي عبدالله بن محمد الانصاري ذم الكلام تحقيق عبد الرحمن ط١ مكتبة العلوم والحكمة ١٤١٦هـ

١٧. محمد السنهوتي مدخل نقدي لدراسة علم الكلام ط ١دار الثقافة العربية القاهره ١٤١٠ه.

١٨. التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) / تحقيق: إبراهيم الأبياري / دار الكتاب العربي/ ط١ / بيروت – ١٠٤٥هـ.

١٩. علم الكلام وبعض مشكلاته د. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني / دار الثقافة للنشر والتوزيع / القاهرة – مصر.

٢٠. المنقذ من الضلال للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) / تعليق: محمد محمد جابر / مكتبة الجندي – مصر.

٢١. رسالة في أصول الدين لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) / المطبعة السلفية / ط٣ / سنة ١٤٠٠هـ.
٢٢.منهاج الإسلام في الحكم لمحمد أسد / نقله إلى العربية: الأستاذ منصور محمد ماضي / دار العلم للملايين / ط٣ / بيروت – لبنان.
٢٣.المواقف لعضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) / بشرح الجرجاني / مطبعة عامر عثمان الحلبي / القاهرة – ١٣١١هـ.

هوامش البحث

(١) إحصاء العلوم للفارابي ص ١٠٧ – ١٠٨.

(٢) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٤

(٣) طوالع الأنوار في علم الكلام ص ٧٩.

(٤) المواقف للإيجي ص ٣٤.

(٥) شرح المقاصد للتفتازاني ص ٦.

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون ص ٤٣.

(٧) يقول الفصول المختارة على هامش الكاسل للمبرد ١٢ ٢٤٦.

(٨) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية لمصطفى عبدالرزاق ص ٣٦٢.

(٩) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٤.

(١٠) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية – مصطفى عبدالرزاق ص ٢٥٧.

(١١) المدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٦.

(١٢) الفرق الكلامية الاسلامية ص ١١، ومدخل نقدي لدراسة علم الكلام ص١٠-١١، والمدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٨.

(١٣) ينظر: قواعد المنهج السلفي، لمصطفى حلمي، ص٧٦.

(١٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص٣٦٢، والمدخل إلى دراسة علم الكلام ص١٨.

(١٥) ينظر في تعريف علم الكلام على سبيل المثال حواشي العقائد النفسية ٧٥١٢، مذاهب الإسلاميين ٧١١-٩، لوامع الأنوار البهية ٤،٥١١.

(١٦) ينظر : المنقذ من الضلال للامام الغزالي ص (٧٣) تحقيق محمود بيجو ط٢دار التقوى دمشق ١٩٩٢.

(١٧) كنفي الصفاتِ ، والتأويلِ ، ونفيِ القدرِ ، والجبرِ ، وغيرها مما سيذكر في هذه الرسالة . ينظر : ص (٣٣٧)

(١٨) أخرجه أبو داود : كتاب السنة ، باب النهي عن الجدال وإتباع المتشابه من القران(٢ / ٦٠٨ ، ٦٠٩) حديث رقم (٤٥٩٨) من حديث **عائشة** < ، **أَنَّها قالت : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **« فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ ».** قال الألباني: صحيح .ينظر : صحيح أبي داود (٣ / ٨٦٩) رقم (٣٨٤٤)

(١٩) أخرجه الحاكم في المستدرك : باب تفسير سورة القمر (٢ / ٥١٤) حديث رقم (٣٧٦٥) ، من حديث أبي هريرة > أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« آخِرُ الكَلاَمِ فِي الْقَدَرِ لِشِرَارِ هَذِهِ الأُمَّةِ ».** ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص : عنبسة ثقة ، لكن لم يرويا له .

(٢٠) المواقف للإيجي ص (٧) .

(٢١) هو : أبو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي الحسيني . من رجال النهضة الإسلامية المجددين . ولد سنة (١٢٤٨ هـ) وتوفي سنة (١٣٠٧ هـ) .كان كثير التصنيف وقد زادت مؤلفاته على المائة منها : فتح البيان ، فتح العلام شرح بلوغ المرام ، قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل . ينظر : الأعلام للزركلي (١ / ١٦٧) ، السيد صديق حسن القنوجي رسالة علمية لأختر لقمان .

(٢٢) أبجد العلوم للقنوجي (٢ / ٦٧).

(٢٣) أبجد العلوم للقنوجي (٢ / ٦٧) .

(٢٤) هو مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني ، ولد سنة (٧١٢هـ) ، وتوفي سنة (٧٩٣ هـ) ، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق من مؤلفاته : شرح العقائد النسفية ، المقاصد وشرحه . ينظر : شذرات الذهب (٦ / ٣١٤ – ٣١٥) ، الدرر الكامنة (٥/ ١١٩) ، بغية الوعاة (٢ / ٢٨٥) ، الأعلام للزركلي (٨ / ١١٣) .

[٢٥] شرح المقاصد للتفتازاني (١ / ١٦٥) .

[٢٦] هو محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي ،ولد سنة (٩٥٢ هـ) وتوفي بمصر سنة (١٠٣١ هـ) من علماء الشافعية المتأخرين ، له نحو ثمانين مصنفاً ، منها : فيض القدير ، الكواكب الدرّية ، تاريخ الخلفاء . ينظر: خلاصة الأثر للمحبي (٢/ ٤١٢ – ٤١٧) ، البدر الطالع للشوكاني (١/ ٣٥٧)، الأعلام للزركلي (٦ / ٢٠٤) .

[٢٧] التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١ / ٦٠٧) .

[٢٨] هو محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركماني ، ولد بمصر سنة (١٢٦٦ هـ) ، وتوفي بها سنة (١٣٢٣ هـ) ، تولى منصب القضاء بمصر ، ثم عُين مفتي الديار المصرية ، وشارك في الثورة العربية ؛ فَنُفِيَ إلى الشام ثم عاد إلى مصر . من أشهر مؤلفاته : رسالة التوحيد ، الإسلام والرد على منتقديه ، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . ينظر: الأعلام (٦ / ٢٥٢) ، وكتاب (محمد عبده) لعثمان أمين .

[٢٩] رسالة التوحيد لمحمد عبده ص (٥) .

[٣٠] هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي ، الإشبيلي ، المالكي ، المعروف بابن خلدون . ولد بتونس سنة (٧٣٢ هـ) وتوفي سنة (٨٠٨ هـ) ، مؤرخ وأديب واجتماعي . له التاريخ الكبير المسمى : العبر وديوان المبتدأ والخبر . ينظر : شذرات الذهب (٧ / ٧٦ – ٧٧) ، الأعلام (٤ / ١٠٦– ١٠٧) ، معجم المؤلفين (٥ / ١٨٨ –١٩١) .

(٣١) سيتبين فيما يأتي أن مقصود هؤلاء بأهل السنة : الأشاعرة والماتريدية ، لا أهل الحديث ، ينظر ص (٣١٣) .

[٣٢] ينظر : مقدمة ابن خلدون ص (٤٢٣) .

[٣٣] الفتوى الحموية الكبرى (٥ / ١١) ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية .

[٣٤] هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني الأشعري ، ولد سنة (٤٧٩هـ) وتوفي سنة (٥٤٨هـ) . قال السمعاني : كان متهماً بالميل إلى أهل البدع ، ودافع عنه السبكي . من مؤلفاته : الملل والنحل ، نهاية الإقدام ، الإرشاد إلى عقائد العباد . ينظر : سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٢٨٦) ، طبقات السبكي (٦ / ١٢٨) ، لسان الميزان (٥ / ٢٦٣) .

[٣٥] نهاية الإقدام للشهرستاني ص (٣) .

[٣٦] ينظر : أقسام اللذات بواسطة منهاج السنة لابن تيمية (٥ / ٢٧١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٧٢ – ٧٣).

[٣٧] هو : أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية ، الحرّاني ولد بحرَّان سنة (٦٦١هـ) وتوفي بدمشق سنة (٧٢٨ هـ) . شيخ الإسلام ، وإمام السنة ، عالم محقق . له مؤلفات منها : درء التعارض ، منهاج السنة ، بيان تلبيس الجهمية . ينظر : البداية والنهاية (١٤ / ١٣٥ –١٤١) ، الدرر الكامنة (١ / ١٥٤ – ١٧١) شذرات الذهب (٦ / ٨٠ – ٨١) .

[٣٨] ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢ / ٢٢) . وهذا مقتبس من حديث أم زَرْعٍ الذي أخرجه البخاري وغيره عن عائشة < ، وقوله (فَيُنْتَقَل) ، وفي رواية (فَيُنْتَقَى) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب حسن المعاشرة مع الأهل (٩/٢٥٤) حديث رقم (٥١٨٩) . والمقصود : أن لحم الجمل ثقيل ، فوصفه بالغثاثة مما يزيد الزهد فيه ، ولكن قد يحتاج الإنسان له ، فقيل له : إنه على رأس جبل وعر ، فليس الجبل سهلاً فيرتقي ويأخذ اللحم ، وليس اللحم سميناً جيداً حتى يتحمل المشاق من أجل الحصول عليه . وينظر : فتح الباري (٩ /٢٥٥ – ٢٧٧).

[٣٩] الفلاسفة : هم الذين يزعمون أنَّ العالم كلُه مفعولٌ ومصنوعٌ لشيء يسمى العقل الفعّال ،فهو عندهم رب الكائنات، ولكنَّه لازمٌ للواجب بنفسه ومعلولٌ له ، وأنَّه يلزمه عقلٌ ونفسٌ وفلكٌ ، ثم يلزم ذلك العقلَ عقلٌ ونفس وفلك ، حتى ينتهي الأمر إلى العقل العاشر ، ومذهبهم : أنَّ العالم قديم ، وعلته مؤثرة بالإيجاب ، وليست فاعلة بالاختيار ، وأكثرهم ينكرون علم الله ، وحشر الأجساد . ينظر : الملل والنحل (٢ / ٥٢٨) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص (٩١) ، الصفدية (٥٢ – ٥٥) ، درء التعارض (٥ / ٨٢ ، ٣٨٤ – ٣٨٦) .

[٤٠] ينظر: تفصيل هذه القضية ص (٢٩٤– ٢٩٩) .

[٤١] ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢ / ٥٩٠)

[٤٢] ينظر : المصدر السابق (١٢ / ٤٦١) .

[٤٣] اقرأ على سبيل المثال كتاب (عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام ليحيى فرغل ، المدخل إلى دراسة علم الكلام لحسن الشافعي) .

(٤٤) أخرجه مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ص (٣٠٤) حديث رقم (٧٧٠) .

(٤٥) حواشي العقائد النسفية (١ / ١٨ – ١٩ ، ٤ / ٢١ – ٢٢) ، شرح المقاصد للتفتازاني (١/ ١٦٤ ، ١٦٥) ، المواقف للإيجي (١ / ٤٥) ، رسالة التوحيد لمحمد عبده ص (٥) ، مذاهب الإسلاميين (١ / ٢٨ – ٣٢)

(٤٦) ذكر أبو حيان التوحيدي في المقابسات ص (٢٢٤) ما نصه : " إنيّ لأعجب كثيراً من أقوال أصحابنا إذا ضمَّنا وإياهم مجلسٌ : نحن المتكلمون ، ونحن أرباب الكلام ، والكلام لنا ، بنا كثر الكلام وانتشر ، وصحَّ وظهر ، كأن سائر الناس لا يتكلمون ، أو ليسو أهلَ كلام ، لعلهم عند المتكلمين خرس أو سكوت " .

(٤٧) مذاهب الإسلاميين (١ / ٣٢)

(٤٨) ينظر : الرد على المنطقيين لابن تيمية ص (٢٨) ، شرح الطحاوية لابن أبي العز ص (٢٠٧)

(٤٩) المصدر السابق (٥ / ٦١) رقم (٨٤٨)

(٥٠) هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، أبو عبد الله الزبيري ، كان علامةً ، أخبارياً فصيحاً ، صدوقاً ، عالماً بالأنساب ، توفي (٢٣٦ هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٠)، البداية والنهاية (١٠ / ٣١٥) ، شذرات الذهب (٢ / ٨٦)

(٥١) هو الجهم بن صفوان – أبو محرز الراسبي – مولاهم السمرقندي ، الكاتب المتكلم ، رأس الجهمية وأسّ الضلالة ، كان صاحب ذكاء وجدال ، كان منكراً للصفات ، يقول بخلق القرآن ، وأنَّ الله بكل مكان ، قتله مسلم بن أحوز بمرو سنة (١٢٨ هـ) . ينظر ترجمته : سير أعلام النبلاء (٦ / ٢٦ – ٢٧) ، الكامل لابن الأثير (٤ / ٢٩٣) والبداية والنهاية لابن كثير (١٠ / ٢٦ – ٢٩)

(٥٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢ / ٩٣٨) رقم (١٧٨٦)

(٥٣) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الكوفي ، قاضي القضاة ، الإمام المجتهد ، العلامة المحدث، ، صاحب أبي حنيفة ، ولد سنة (١١٣هـ) وتوفي سنة (١٨٢هـ) . ينظر : سير أعلام النبلاء (٨ / ٥٣٥) ،الجواهر المضية (٣ / ٦١١ – ٦١٣) ، شذرات الذهب (١ / ٢٩٨ – ٣٠١)

(٥٤) ذم الكلام للهروي (٤ / ٢٠٩ – ٢١٠) رقم (١٠٠٩) ، تأويل مختلف الحديث ص (٦٠) ، جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢ / ١٠٣٣) رقم (١٩٨٦)

(٥٥) أبو نعيم في الحلية (١١١/٩) ، وأبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام (٤ / ٢٨٥) رقم (١١٣٠)

(٥٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٢٩) ، البداية والنهاية لابن كثير (٢٥٤/١٠) ، ذم الكلام للهروي (٤ / ٢٩٤ – ٢٩٥) رقم (١١٤٢)

(٥٧) قال ابن قدامة " والزنديق" : هو الذي يظهر الإسلام ، ويستتر بالكفر وهو المنافق ،كان يسمى في عصر: منافقاً ، ويسمى اليوم : زنديقاً . ينظر المغني (٧ / ١٧٢) .

(٥٨) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص (١٠٢)

(٥٩) ينظر : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص (٢٦٦ – ٢٦٨)

(٦٠) مذاهب الإسلاميين (١ / ٣١)

(٦٣) المدخل إلى دراسة علم الكلام للدكتور حسن محمود الشافعي ص (٢٨) .

(٦٤) الفرق الكلامية الاسلامية ص ١٨.

(٦٥) أن السلف لم يذموا جنس الكلام، ولا ذموا الاستدال والنظر والجدل والاحتجاج الذي أمر الله به ورسوله، والاستدال بما بينه الله ورسوله، ولا ذموا كلاماً هو حق، وإنما ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة. واصبحوا يطلقون (علم الكلام) ويعنون به علم الكلام البدعي المذموم وهو كل مابتدع من المسائل والأصول التي تخالف الكتاب والسنة. قال شيخ الإسلام رحمه الله:(فالكلام الذي ذمه السلف يذم لانه باطل ولانه يخالف الشرع ، ولكن لفظ الكلام لما كان مجملاً لم يعرف كثير من الناس الفرق بين الكلام الذي ذموه وغيره.. وطائفة تظن أن الكلام الذي ذمه السلف

هو مطلق النظر والاحتجاج والمناظره وهؤلاء أيضاً غالطون.. والقرآن فيه مناظرة الكفار، والاحتجاج عليهم مافيه شفاء وكفاية). النبوات، ص ١٥٦-١٥٧.

(٦٦) مناقب أبي حنيفة للمكي ص ١٣٧.

(٦٧) المصدر نفسة ص ١٨٣

(٦٨) استحسان الخوض في علم الكلام للأشعري ص٤.

(٦٩) عقود الجمان ص٦١ ، مناقب أبي حنيفة للمكي ص٥٣.

(٧٠) ينظر: تاريخ بغداد (١١٣ ٣٣٣)، مناقب أبي حنيفة للمكي ص١٨٣، ١٨٤، مناقب أبي حنيفة الكردري ص ١٣٧ ، ١٣٨.

(٧١) مناقب أبي حنيفة للمكي ص ٥٤،

(٧٢) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة- سليمان الغصن ٥٠/١.

(٧٣) ينظر : المدخل لدراسة العقيدة الاسلامية ص ٥٧:

(٧٤) نفس المصدر ص٦٣.

(٧٥) ترجمة في طبقات الشافعية ٥/١٠-٣٢ البداية والنهاية ٣٠٣/١٤

(٧٦) ينظر: صون المنطق ، والكلام السيوطي ،ص٨،٩

(٧٧) ينظر: العقيدة وعلم الكلام ، دمحمود الخالدي ص٣٦.

(٧٨) ينظر: صون المنطق ٥٦/١

(٧٩) الاعتصام ١٧٥/٢

(٨٠) نفس المصدر

(٨١) ترجمة في ميزان الاعتدال (٣٣٨/٣)

(٨٢) الملطي ص١١٣

(٨٣) عبدالله بن سبأ : ترجمة في لسان الميزان ٢٨٩/٣ الاعلام ٠٢٢٠/٤ وينظر:كتابة عبدالله بن سبا ودوره في الفته .

(٨٤) صون المنطق السيوطي ٤٢/١

(٨٥) الفصل لابن حزم ١١٥/٢

(٨٦) ككتب ابن مالي وديصان ومرمقون وغيرهم .

(٨٧) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام للسنهوتي ص ٢٢١

(٨٨) طبيب الامويين الذي وضع للنصارى اصول الجدل مع المسلمين..

(٨٩) للطلاع على نماذج من رسائله التي كان يرسلها ينظر: ضحى الاسلام ٣٤٥/١

(٩٠) مجموع الفتاوى ٩٥/٤ينظر: الفرقان ضمن الفتاوي ١٧٥/١٣

(٩١) نفس المصدر ص٤

(٩٢) الاعتصام ٢/ ٢٣٧

(٩٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٦١.